Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 52, No. 1, 2025

Deanship of Scientific Research

Food and Its Culture in Ancient Arabic Proverbs

Mahmoud Talab Hasan Abdeldeen*

Department of Arabic Language And Culture, National ChengChi University, Taipei, Taiwan.

Received: 25/9/2023
Revised: 29/10/2023
Accepted: 27/12/2024
Published online: 14/11/2024

* *Corresponding author:*
mahmoud@nccu.edu.tw

Citation: Abdeldeen, M. T. H. (2024). Food and Its Culture in Ancient Arabic Proverbs. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *52*(1), 403–415.
https://doi.org/10.35516/hum.v52i1.5757

© 2025 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: This research aims to highlight the significance of food and its various types, as well as its cultural representation in ancient Arabic proverbs in expressing the heritage and etiquette of the nation. Proverbs were chosen as they are popular literary art forms that have extensively documented Arab culture, including its customs and traditions, and they serve an educational purpose in guiding and influencing people's behavior.

Methods: Employing a descriptive analytical approach, the research will focus on a sample of 174 proverbs that deal with food, and will extract the culture, customs, and wisdom of the Arab society through those proverbs found in the book "Majma' al-Amthal" by Abu al-Fadl al-Maydani. This source serves as a wellspring for extracting the embedded cultural contexts and societal mores related to food.

Results: The analysis reveals that Arab cuisine's simplicity mirrors the region's resource availability, with a culinary palette that has both absorbed foreign influences and crafted unique social customs. Proverbs categorized meals in tune with daily activities, terms evolving semantically. They uphold values of generosity and hospitality, admonish miserliness, discourage unpermitted consumption, promote dietary moderation, and highlight the health merits of eating at specific times.

Conclusions: Arabic food-related proverbs provide a dual function: documenting the gastronomic vocabulary of yore and reflecting the Arab world's moral judgments, customs, and dining protocols. These proverbs are vital to anthropological study, encapsulating and perpetuating cultural norms, thereby playing a key role in safeguarding Arab heritage.

Keywords: Food, beverages, proverbs, dining etiquette, food culture.

الطَّعام وثقافته في الأمثال العربيَّة القديمة

محمود طلب حسن عبد الدّين*

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات الأجنبية، جامعة جين جي الوطنية، تايبيه، تايوان.

المخلص

الأهداف: يسعى البحث إلى إلقاء الضّوء على الطعام وأنواعه وثقافته في الأمثال العربية القديمة لأهميته في التعبير عن موروثات الأمة وآدابها. واختار البحث الأمثال لأنها من الفنون الأدبية الشعبية التي وثّقت ثقافة العرب، وسجّلت كثيرًا من عاداتها، ولها أهمية تربوية في توجيه النّاس والتأثير في سلوكهم.

المنهجية: سيعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي لحصر الأمثال التي تناولت الطعام وثقافته عند العرب وعاداته وحكمه، من خلال ما ورد في كتاب "مجمع الأمثال" لأبي الفضل الميداني؛ لأنه من أوسع كتاب الأمثال. وقد بلغت عينة الأمثال المستهدفة بالبحث 174 مثلًا.

النتائج: يظهر البحث أنّ أطعمة العرب كانت بسيطة في موادها وطريقة إعدادها، وهي مما يتوافر في بيئتهم، وبعضها أخذها العرب من غيرهم من الشّعوب، وكانت بعض الأطعمة ترتبط بمناسبات اجتماعية فسمّيت بأسماء مخصوصة، وقد كان للوجبات أسماء تتناسب مع طبيعة حياتهم كالصبوح والغبوق والغداء والعشاء، وبعض هذه الأسماء قد أصابها تطوّر دلالي، وحفلت الأمثال بالجوانب الثقافية فحثت على الكرم واحتفت بأهله، وذمّت البخل والبخلاء، وذمّت الذهاب إلى طعام الآخرين دون دعوة، كما دعت إلى الإقلال من الأكل للحفاظ على الصحة، والتبكير في تناول الطعام صباحًا ومساءً.

الخلاصة: تضمّنت عينة أمثال الطعام جانبين، الأوّل: ما حفلت به من توثيق لأسماء الأطعمة والأشربة في العصور العربية القديمة، والثاني: ما وثقته من حكم العرب وثقافتهم وعاداتهم وآدابهم في الطعام. وكلا الجانبين يظهران أهميّة الأمثال في دراسة المسائل الأنثروبولوجية، ودورها في الحثّ على التمسّك بتلك العادات والآداب من خلال تناقل الناس لتلك الأمثال وشيوعها بينهم، مما أسهم في محافظة العرب على موروثاتهم الثقافية.

الكلمات الدالة: الأطعمة، الأشربة، الأمثال، آداب الطعام، ثقافة الطعام.

المقدمة

للغة أهميّة عظيمة في توثيق حياة الشعوب بكلّ تفاصيلها ودقائقها، وحفظ ثقافتها وقيمها، ذلك أنّ اللغة ظاهرة اجتماعيّة يعبّر بها الناس عن كلّ ما يلامس حياتهم(نهر، هادي، 1988، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، ط1، الجامعة المستنصرية، بغداد) وبهذا فهي أوثق ما يلازم الإنسان في حياته، ويترتّب على هذا الارتباط أن يكون الإرث اللغوي من أهم ما يخضع للبحث والدراسة، فهو مجال رحبٌ نتصفّح من خلاله طبيعة حياة الناس ونظمهم الاجتماعيّة، وثقافتهم وقيمهم التي حرصوا عليها، إضافةً إلى اللغة نفسها من حيث الألفاظ ودلالاتها وتطورها، وأنظمتها النحوية والصرفية والصوتية والأسلوبيّة، فلا يمكن أن نتعرّف حضارة أمّة دون النظر في لغتها، وما تركته من نصوص أدبيّة فقد حفظت اللغات أسماء الأدوات التي استعملها الناس في حياتهم، والألبسة وأسماء الأطعمة والأشربة، هذا فضلًا عن العادات والآداب التي سادت فيما بينهم، وحرصوا عليها في أحوالهم المختلفة، فغدت لها سلطة في حياتهم يفتخرون بها وبمن يقوم بها، وقد يهجون أو ينتقدون من يخالفها.

ومن هنا كانت دراسة النصوص الأدبيّة كالشعر والأمثال مهمة، لأنّ الأدب يعكس ثقافة المجتمع وفلسفته في الحياة، فدراسته بحث في ثقافة المجتمع وسلوك الأفراد ونشاطاتهم وأساليب تفكيرهم (إسماعيل، عز الدين، 2013، الأدب وفنونه، ط9، دار الفكر العربي، القاهرة. 24-27). وكما هو معلوم فقد كان للأدب حضور واسع في حياة العرب في جميع البيئات التي عاشوا فيها، مما يجعل البحث في تلك النصوص من الأمور القيّمة والمفيدة، وخصوصا أنّ تلك النصوص الأدبية توافر لها قدر كبير من الحفظ والرواية من جيل إلى جيل، فهي تمثّل ذاكرة حيّة للعرب، سجّلت دقائق حياتهم وطرق عيشهم، وما زال الناس يتمثّلون بها في حياتهم الحاضرة.

وانطلاقًا مما تقدّم أراد هذا البحث تسليط الضّوء على الأمثال العربية القديمة التي تناولت الطعام ووثّقت ثقافة المجتمع حول هذا الأمر الأساسيّ في حياتهم، فالطعام أكثر دلالة على العقول والآداب والمعارف بوصفه تعبيرًا عن حضارة الأمة وطبائع الأفراد، والأمثال حكم الشعوب والأمم تبدو فيها نظرتها إلى الحياة ومذهبها في أنماط السلوك والعلاقات الاجتماعية، وهي تكشف عن جوانب شتى من حياتها اليومية، وكثير من عاداتها وتقاليدها، ولها مكانتها في نفوس الناس بما تتضمن من أحكام يرتضونها (كيال، منير، 1997، 13). ويتيح البحث في هذا المجال أيضًا التعرّف إلى كثير من التفاصيل: كأنواع الأطعمة المشهورة، والوجبات التي كانوا يتناولونها، وحكمهم وآدابهم في هذا المجال، إذ كان للأمثال أهميّة تربوية بقصد التوجيه والإرشاد، فهي ليست مجرد أقوال يستشهد بها، بل لها أثر في توجيه سلوك الناس إلى أنماط من الثقافة والسلوك.

منهج البحث

سيعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي لحصر الأمثال التي تناولت الطعام في حياة الأفراد، واستخلاص ثقافة المجتمع العربي وعاداته من خلال تلك الأمثال الواردة في كتاب "مجمع الأمثال" لأبي الفضل الميداني فقد احتوى على نحو ستة آلاف وثمانين مثلًا (قطامش، عبد المجيد، 1988، 114). وسيوثق البحث الأمثال بذكر رقمها بجانب كل مثل كما ورد في كتاب مجمع الامثال، إلا أن يكون المثل مولّدا فعندئذ سيوثق بذكر الصفحة التي ورد فيها.

التمهيد

الأمثال عبارات موجزة يستحسنها الناس شكلًا ومضمونًا؛ فتنتشر بينهم ويتناقلها الخلف عن السّلف، متمثلين بها غالبا في حالات مشابهة لما ضرب لها المثل أصلًا. (فتحي، مصطفى. 2001، ص 6). وغالبًا تتّسم بالإيجاز، وتتجلّى أهميتها في كونها من أقدم الأساليب الأدبية التي استعملها الناس للتعبير عن أفكارهم، كما أنها شواهد ثقافية تمثّل واقع المجتمع وحياته اليومية، فتعطي صورة حقيقية عن المجتمع، إضافة إلى ما يتوافر فيها من الأبعاد الإنسانية التي تشير إلى تشابه الخبرات والأفكار في الثقافات المختلفة. ولهذا كان لها تأثير في سلوك الناس (السّالم، عبد الله، 2011، ص253).

ويعرف الطعام اصطلاحًا بأنه: أي مادة يمكن أن يحولها الكائن العضوي لإعطاء الطاقة وبناء الخلايا، ويتكوّن من تركيبة تضم السعرات الحرارية والبروتينات والدهون، والمعادن والكربوهيدرات. (نجم، أحمد، 2016، ص19)، والطّعام من الضرورات الأساسية للإنسان التي لا يستغني عنها أبدًا، وتنشأ من حاجات فسيولوجية للجهاز الهضمي، فتكون دافعًا للإنسان للأكل والشرب حفاظًا على وجوده واستمراريّة حياته، وتأخذ هذه الحاجة أشكالًا متنوعة من حيث الأنواع التي يؤكلها الناس ويشربونها، وطرق الطبخ والعادات المرافقة لإعداد الطعام وطرق التقديم، والآداب التي تراعى أثناء تناول الطعام. وتتنوّع أيضًا نكهات الطعام المستحبة لدى المجتمعات المختلفة فيصل ذلك إلى حد التناقض أحيانًا، كما أنّ المجتمعات تختلف فيما يمكن أن يكون مقبولًا تناوله أو شربه لدى هذا المجتمع أو ذاك.

وإذا كانت الحاجة إلى الطعام والشراب تمثّل جانبًا بيولوجيًا يتشابه الناس فيه في كل المجتمعات البشرية، فإنّ الجوانب الأخرى التي تتعلّق بأنواعه وطرق صنعه ونكهاته وعادات تقديمه وما إلى ذلك من شؤون أخرى، هي من الثقافة التي يختلف فيها الناس والمجتمعات اختلافًا كبيرًا، فلكل مجتمع خصوصيته وثقافته، والثقافة هي: مجمل أساليب المعيشة في حياة الشعب اليوميّة، التي تشمل بين عناصرها المترابطة في نسيج متكامل: الرؤية العامة، والقيم والمبادئ والمفاهيم والتقاليد والعادات والمعتقدات، والمقاييس والمعايير والمهارات والأعراف والقوانين والأمثال والمروّيات والمناقب الأخلاقية

والقواعد السلوكية اليوميّة، وهذا يعني أنّ للثقافة تأثيرًا أساسيًّا في حياة الأفراد كالهواء نستنشقه ونسلم به تسليمًا، وإن كنا لا نكاد نشعر به (بركات، حليم، 2000، 109)، والناس متنوعون في هذه الجوانب، وقد يكون هذا التنوّع ناتجًا عن أسباب دينية أو جغرافيّة أو حضارية أيضًا.

والنّاس بلا شكٍّ يختلفون في طرق إشباعهم لهذه الحاجة وفق أديانهم وثقافاتهم وعاداتهم وتطورهم الحضاري، وخصوصًا في المجتمعات القديمة التي كانت وسائل الحياة فيها بسيطة، إضافة إلى قلّة الاحتكاك نسبيًا بين تلك المجتمعات وغيرها من المجتمعات، مما وفّر لها خصوصية ثقافية تميّزها عن غيرها. ومع أنّ لكل مجتمع خصوصيته الثقافية التي تنعكس على مجمل نشاطاته ومن ضمنها طعامه وشرابه، فإن التداخل الثقافي قد حدث بين المجتمعات الإنسانية أحيانًا نتيجة للاحتكاك والتواصل المستمرّ بين الشعوب والأمم، فيلحظ التشابه بين أنواع الأطعمة وطرق طبخها. ويبدو أن العرب قد كان لهم نصيب كبير في الاحتكاك بالأمم الأخرى في الأزمنة الماضية كالرومان والفرس والهنود والصينين وشعوب أفريقيا وغيرهم لأسباب تجارية أو سياسية.

الطعام عند العرب

توفّر المدوّنات التي ألّفت في مختلف العصور تفاصيل ثمينة عن حياة العرب، وهي تعتمد على الجهود الاستقصائية الشاملة التي بذلها العلماء الأوائل في توثيق مشاهداتهم في البوادي والأرياف والحواضر في أثناء جمعهم للغة، إذ لا تخلو تلك المشاهدات من أخبار عن حياة العرب في مأكلهم ومشربهم وملبسهم ومسكنهم، فقد ورد ذلك في رسائلهم الأولى التي ألّفت، ككتب أبي زيد الأنصاري" (205هـ) (ينظر: الأنصاري، أبو زيد. 1981، النوادر في اللغة. 402، 501، 502 546)، وأبي عبيدة معمر بن المثنى (209هـ) (ينظر: كتاب الدّيباج، متاح على الشبكة https://shamela.ws/book/636/3) والأصمعي (215هـ) (ينظر: الأصمعي، عبد الملك. (1951). كتاب ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه، 16، 24، 27، 33، 43)، وأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (250هـ) الذي ألف في موضوعات لها اتصال بالطعام: ككتاب الشجر والنبات، والعشب والبقل، واللبأ واللبن والحليب (ينظر: السجستاني، أبو حاتم. 1986. كتاب الفرق. 218، 226) وغيرهم، ثم تبعهم أدباء آخرون، منهم على سبيل المثال لا الحصر: الجاحظ (255هـ) الذي عني بذكر أوصاف الأطعمة والأشربة وأخبار البخلاء في كتبه الماتعة فكان يرد ذلك من خلال ما يذكره من طرائف وقصص، ثم أفرد الطعام والشراب بأجزاء مخصوصة في المؤلفات اللاحقة، وكما في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (276هـ) فقد خصّ هذا الموضوع بجزء في كتابه المذكور، وكما في كتاب العقد الفريد ذلك السّفر الموسوعي لابن عبد ربه الأندلسيّ (328هـ) الذي أفرد جزءًا أيضا للحديث عن الطعام والشراب، فاستقصى حديثه عن ذلك موضوعات كثيرة كأطعمة العرب وأسمائها وصفاتها وآداب الطعام والحمية وغير ذلك من المعلومات، وكذا صنع الثعالبي (429هـ) الذي أفرد جزءًا أيضًا للحديث عن أطعمة العرب وأسمائها وأدواتها في كتابه فقه اللغة وسر العربية، وإن كان اهتمام الثعالبي منصبًا على النواحي المعجمية وتوثيق أسماء الأطعمة، وهو ما عنيت به المعجمات اللغوية، فهي توفّر قاعدة بيانات وافية بأسماء النباتات والحيوانات والثمار والأطعمة والأشربة من خلال موادها اللغوية المختلفة. وتوفّر كتب الأمثال مادة ثريّة حول أطعمة العرب وأشربتهم، فقد وثّقت الأمثال أسماء تلك الأطعمة والأشربة وأنواعها مما يمكّن الباحث أن يستخلص من تلك الأمثال جوانب عديدة حول تلك الأطعمة، كما أنها حفظت عادات العرب وآدابهم وحكمهم في الطعام. وفي العصور الحديثة هناك كتب كثيرة تشتمل على أبواب عن الطعام والشراب عند العرب، منها بلوغ الأرب لمحمود شكري الألوسي (1342هـ)، والمفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي.

الطعام في الأمثال

باستقصاء الأمثال الواردة في كتاب مجمع الأمثال للميداني وتدبّرها يلحظ ورود عدد كبير من الأمثال التي وثقت مسائل عديدة تتعلّق بالطعام، يمكن بيان ذلك على النحو الآتي:

أولًا: أصناف الطعام

وثّقت الأمثال المرويّة في مجمع الأمثال أنواعًا من الأطعمة والأشربة التي كان الناس يتناولونها في الأزمنة القديمة، ومن هذه الأنواع:

أ. نماذج من الأطعمة غير المطبوخة

البَقْل: اسم عام يطلق على نباتٍ عُشبيّ مما ليس له ساقٌ، كالخسّ والخيار والجزر ، ومن أمثالهم فيه: كُلِ البَقْلَ مِنْ حَيْثُ تُؤتَى بِهِ (الميداني، 2: 171)، وقولهم: "لَمْ أذْكُرِ البَقْلَ بأسْمَائِهِ" (3236)، وقولهم "لاَ يُنْبِتُ البَقْلَةَ إلاَّ الحَقْلَةُ" (3581)، ومن النباتات التي تصنّف ضمن البقول قولهم: الْبُسْتَانُ كُلُّهُ كَرَفْسٌ (الميداني، 1: 121)، وقولهم: مَنْ أعْطَى بَصَلَةً أخَذَ ثُومةً (الميداني، 2: 328)، وقولهم: لاَ تَدْخُلْ بَيْنَ البَصَلَةِ وَقِشْرِهَا، وقولهم: لَيْتَ الفُجْلَ يَهْضِمُ نَفْسَهُ (الميداني، 2: 257).

التّمر: ما يبس من ثمر النخل، وهو من الأطعمة المهمة لدى العرب، ومن الأمثال إلى أشارت إلى هذا النوع من الطعام قولهم:" أَكَلْتُمْ تَمْرِي وَعَصَيْتُمْ

أَمْرِي" (399)، وقولهم: " أَعْطِ أَخَاكَ تَمْرَةً، فإنْ أبَى فَجَمْرَةً" (2455). وقولهم: "كَمُسْتَبْضِعِ التَّمْر إلى هَجَرَ" (3080)، وهجر أرض تشتهر بالتمر، وكان يقال أيضاً: "كمستبضع التمر إلى خيبر"، وهي أرض مشهورة بالتمر أيضًا، وقولهم: "التَّمْرُ فِي البِئْرِ، وَعَلَى ظَهْرِ الجَمَلِ" (684)، وقولهم: "قِيلَ لحُبْلَى :ما تَشْتَهِينَ؟ فَقَالت :التَّمْرَ وَوَاها لِيَهْ" (2832) أي أشتهي كل شَيء يذكر لي مع التمر، وواها ليه: أي أشتهيه ويعجبني (الميداني، 2: 92). وقولهم:" كِلاَهُمَا وَتَمْراً" (3079) وهو مثل جاء جوابًا لرجل جائع عطشان، إذ قال لعمرو الجَعْدِي أطعمني من هذا الزبد والسّنام، فأجابه: لك كلاهما وأزيدك تمرًا (الميداني، 2: 152). وقولهم:" من شهوة التّمر يُمصُّ النّوى" (الميداني، 2: 330). وأشارت بعض الأمثال إلى النخل: "عَرَفَ النَّخْلُ أَهْلَهُ" (2454) يضرب عند وكول الأمر إلى أهله 22/2، وقولهم: "مَتَى كانَ حُكْمُ الله فِي كَرَبِ النَّخْلِ" (3872) وكَرَبَ النخل :أصولُ السَّعَف أمثال الكتف. ويضرب فيمن يَضَعُ نفسه حيث لاَ يستأهل 282/2. ومن أمثالهم ما يدلّ على تفضيلهم لنوع من التمر، فقالوا:" أَطْيَبُ مَضْغَةٍ صَيْحَانِيَّةٌ مُصَلَّبَة" (2280)، و" وأطيب التمر صيحانية مصلّبة" (ابن قتيبة، عبد الله، 3: 202). أي أطيبُ ما يُؤكل صَيْحَانية، وهي ضرب من التمر أسود صلب، ومُصَلَّبة: من الصَّليب وهو الوَدَكُ، أي ما خلط من هذا التمر بوَدَكٍ فهو أطْيَبُ شيء يمضغ. يضرب للمُتَلائمين المتوافقين.

الدّباء: هو القرع وهو من النباتات التي كان العرب يطبخونها ويأكلونها، ومن أمثالهم فيه قولهم: "أَغَرُّ مِنَ الدُّبَّاءِ فِي المَاءِ" (2701) من الغُرور، ومثله قولهم أيضًا: "لاَ يَغُرَّنَّكَ الدُّبَّاء وَإِنْ كانَ فِي الماءِ" (3580). قال الميداني: معنى المثل الأول منتزع من الثاني، وذلك أن أعرابياً تناول قَرْعاً مطبوخاً وكان حاراً، فأحرق فمه، فقال :لا يغرنك الدباء وإن كان نشوؤُهُ في الماء. يضرب للرجل الساكن ظاهراً الكثير الغائلة باطنا. (الميداني، 2: 64).

الرّطب: وهو ثَمَرُ النخل إذا أدرك ونَضِجَ قبل أن يصير تمرًا، وكانوا يفضلونه لحلاوته، ومن أمثالهم فيه: "جَاءَ أَبُوهَا بِرُطَبٍ" (898) قالوا: إن أول من قال ذلك شيهم بن ذي النابين العبدي، وكان فيه فَشَل وضَعْفُ رأيٍ، فأتى أرض النَّبيطِ في نَفَر من قومه فهوِيَ جارية نَبَطية حسناء فتزوجها ..ثم إن أباها قدِم زائراً لها من أرضه، وحمل معه هدايا منها رُطَب وتمر، فلما ذاق شَيْهم الرطبَ أعجبته حلاوته، فخرج إلى نادي قومه وقال وقد كانوا لاموه على زواجها من تلك الفتاة فذهب قوله مثلا، ويضرب لمن يرضى باليسير (الميداني، 1: 171).

الكَمْأة: وهو نبات ينمو في الربيع تحت الأرض، وهو مستدير كالقلقاس لا ساق له، وهو من النباتات التي كان العرب يجمعونها من البيئة التي يعيشون فيها، ومن الأمثال التي ورد فيه ذلك قولهم: "عَطَشاً أَخْشَى عَلَى جَانَي كَمْأَةً لاَ قُرًّا (2492)، فالكمأة تكون آخر الربيع، فإذا باكَرَ جانبها وجَدَ البرد، فإذا حَمِيَتِ الشمسُ عطش، والعطش أضر له من القُرّ الذي لا يَدُوم (الميداني، 2: 28). ومن ذلك أيضًا قولهم: " إِنَّكَ لَعَالِمٌ بِمَنَابِتِ القَصِيصِ (127)، قالوا: القَصِيص جمعُ قَصِيصة وهي شُجَيْرة تنبت عند الكَمْأة، فيستدل على الكمأة بها. (الميداني، 1: 32). وقولهم: كالكَمْأةِ لا أَصْلٌ ثَابِتٌ وَلاَ فَرْعٌ نَابِتٌ (الميداني، 2: 172).

يستخلص في هذا الجزء أن الأمثال وثقت نماذج من الأطعمة التي كانوا يجنونها من النباتات والأشجار التي نمت في بيئتهم الصحراوية، كالبقل والتمر، والرطب والدّباء، والرطب والكمأة. وكان لديهم مهارة في جمع هذه الثمار.

ب. نماذج من الأطعمة المطبوخة

الْبَكِيلَةُ وَالْبَكَالَةُ: الدَّقِيقُ يُخْلَطُ بِالسَّوِيقِ وَالتَّمْرُ يُخْلَطُ بِالسَّمْنِ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ وَقَدْ بُلَّا بِاللَّبِنِ، وقيل الأقط بلت بالسمن، وجاء ذلك في المثل القائل: غَرْثَانُ فاربُكُوا له (2665)، ويروى: فاربكوا له. يضرب لمن زال همّه وتفرغ لغيره.

الثريد: وهو الخبز الذي يهشم ويبلّ بمرق اللحم، ويوضع اللحم عليه، صَاحِبُ ثَرِيدٍ وَعَافِيَةٍ. (الميداني، 1: 417) يضرب لمن عرف بسلامة الصدر. وقد قيل إنّ هَاشم بن عَبْد مَنَاف فِيمَا أَوَّل من أطْعم الثَّرِيد بمَكَّة، وَكَانَ اسْمه عمرا فَسُمي هاشما لهشمه الْخبز بمَكَّة لِقَوْمِهِ، وَقَالَ الشَّاعِر لقريش أَوْ بعض الْعَرَب (الحرَّاني، أبو عروبة، 2003، الأوائل، تحقيق مشعل بن باني الجبرين المطيري، ط1، دار ابن حزم، بيروت. 62):

عَمْرو الَّذِي هشم الثَّرِيد لِقَوْمِهِ ... وَرِجَال مَكَّة مسنتون عجاف

وهو ما أورده الميداني في قصة المثل القائل: إنَّ الْبَلاَءَ مُوَكَّلٌ بالمَنْطِقِ (35) الذي قيل على لسان أبي بكر رضي الله عنه. وفي الثريد أيضًا جاء المثل القائل: ما نَقَصَ عِنْدَهُ عَبَكَةَ ولاَ لَبَكَةً (3883)، والعبكة واللبكة القِطْعةُ من الثريد.

الْحَيْسِ: والْحَيْسِ: طعام يتكّون من خلط التّمر والسّمن، والأقط، وورد فيه قولهم: أُمُّ قُعَيْسٍ وَأَبُو قُعَيْسٍ، كِلاهُمَا يَخْلِطُ خَلْطَ الْحَيْسِ(302)، يقال: إن أبا قُعَيْس هذا كان رجلاً مُرِيباً، وكذلك امرأته أم قعيس، فكان يُغْضِي عنها وتغضي عنه، والحَيْسُ عند العرب: التمر والسمن والأقِط غير المختلط (الميداني، د.ت، 1: 62)، والفكرة في هذا المثل أن خلط الأشياء معًا لا يظهر ما فيها من الحسن والجودة، ولهذا ورد قولهم أيضًا: "عَادَ الْحَيْسُ يُحَاسُ " (2464) أي: عاد الأمر المخلوطُ يُخلط، أي عاد الفسادُ يُفسد. وأصله أن رجلا أُمِرَ بأمر فلم يحكمه، فذمَّه آمره فَقَام آخر ليحكمه، ويجيء بخير منه، فَجاء بِشَرٍ مِنهُ فَقَال الآمر :عاد الحيس يحاس. (الميداني، 2: 23، 24).

الخبز: اسمٌ لما يُصنعُ من الدَّقيقِ المعجونِ المنضَج بالنار، ومن أمثالهم فيه قولهم: "كُلُّ أداةِ الخُبْزِ عِنْدِي غَيْرَهُ" (3075)

وأصله أن رجلا استضافه قومٌ، فلما قَعَدُوا ألقى نِطَعاً، ووضع عليه رَحَى فَسَوَّى قُطْبها وأطبقَهَا، فأعجب القوم حضور آلته، ثم أخَذَ هادي الرحَى فجعل يُدِيرها بغير شَيء. فَقَال له القوم :ما تصنع؟ فَقَال :كل أداة الخبز عندي غيره. (الميداني، 2: 150)، وقولهم: "شَهِدْتُ بأَنَّ الخُبْزَ باللّحَمْ طَيِّب"

(1940) يضرب عند الشيء يتمنَّى ولا يُقْدَرُ عليه.

الزَّبِيكَةُ: الْأَقِطُ وَالتَّمْرُ وَالسَّمْنُ يُعْمَلُ رَخْوًا، وقد ورد هذا الطعام في المثل القائل: غَرْثَانُ فارْبُكُوا لَهُ (2665)، أي: هو جائع فاصنعوا له الربيكة، يضرب لمن قد ذهبَ هَمه وتفرغ لغيره.

الزُّبْدُ: خُلَاصَةُ اللَّبَنِ وهو من الأطعمة المهمة عند العرب لارتباطه بطريقة عيشهم والثروة الحيوانية التي كانوا يمتلكونها، ومن أمثالهم فيه: "أَلَذُّ مِنْ زُبْدٍ بِزُبٍّ، وأَلَذُّ مِنْ زُبْدٍ بِزِرْسِيَانٍ" (3730) والمثل الأوّل بَصْرِيّ، والثاني كوفيّ، وأما الزِّرْسِيَانُ فَتَمْر من تمور الكوفة، وأما الزب فتمر من تمور البَصرة (الميداني، 2: 254). ويشير المثل إلى أنهم كانوا يحبون أكل الزبد بالتّمر، فقد ورد عن الحجّاج أنه قال جلسائه يومًا: ليكتب كل واحد أحبّ الطعام إليه في رقعة، فإذا في الرّقاع كلّها: الزّبد والتّمر (ابن قتيبة، 1925، 3: 197)، ومن أمثالهم فيه أيضًا:" أَلِينُ مِنَ الزُّبْدِ (3717)، وقولهم: "مَنْ يَرَ الزُّبْدَ يَخَلْهُ مِنْ لَبَنٍ" (4046) يضرب لمن يريد أن يُخفِيَ مالا يُخفىَ. و "شهدتُ بأن الزبد بالتمر طيب" (1940) وقولهم: "صَرَّحَ المَحْضُ عَنِ الزُّبْدِ" يقال للأمر إذا انكشَفَ وتبين (2144)، وقولهم: " مَعَ المَخْضِ يَبْدُو الزُّبْدُ" (3997) والمخض اللبن. وقولهم: اخْتَلَطَ الْخَاثِرُ بالزُّبَّادِ. الخاثر :ما خَثَر من اللبن، والزُّبَّاد :الزبد (1273)

السَّمْنُ: عرف العرب السّمن وصنعوه من زبد الغنم والبقر، ورد في أمثالهم: " هُوَ السَّمْنُ لاَ يَخِمُّ" (4587) أي: لا ينتن ولا يتغير طعمه. ويسمّى بالسلاء أيضًا، والسّلاء السمن وفيه ورد قولهم: "إنَّ السِّلاَءَ لِمَنْ أَقَامَ وَوَلَّدَ" (389)، يقال: سَلأْتُ السمن سلأ إذا أذبْته يعني أن النتاج ومنافِعَه لمن أقام وأعان على الولادة، لا لمن غَفل وأهمل. (الميداني، أبو الفضل، د.ت،1: 77). وقولهم: " سَلأَتْ وأَقَطَتْ" (1808) أي أذَابَتِ السمنَ وجَفَّفَتِ الأقِطَ. يضرب لمن تغيّر حاله بعد جَدْب.

السّويق: طعامٌ يُتَّخَذ من مدقوق الحنطةِ والشعير، وهو سريع التحضير، ولهذا ورد قولهم إنه طعام المسافر، وطعام العجلان وله فوائد علاجية للمريض والحزين وللتسمين (ابن قتيبة، 3: 206)، وقد يخلط بغيره وهو ما أشارت إليه الأمثال كما في قولهم: " التّمْرُ بالسَّوِيقِ" (686).

الفالوذج: وهي حلوى تصنع من الدّقيق والعسل والسّمن، وهي من الأطعمة المأخوذة من الفرس، يقال إنّ الحسن سمع رجلًا يعيب الفالوذج، فقال: فتات البُرّ بلعاب النحل بخالص السّمن، ما عاب هذا مسلم، وروي أن عبد الله بن جدعان أكله عندما وفد على كسرى فاستحسنه، وابتاع غلامًا يحسن طبخه وعاد به إلى مكة، فكان يقدم الفالوذج للناس على موائد عامة (ابن قتيبة، عبد الله، 1925، عيون الأخبار، 3: 203). ومن الأمثال الواردة فيه قولهم: فَالُوذَجُ الجِسْرِ، وفَالُوذَجُ السُّوقِ. يضربان لذي المنظر بغير مخبر (الميداني، 2: 90) والمثل يشير إلى أنّ الفالوذج كان يباع في الأماكن العامة خاصة في العصر العباسي ويبدو أنّ جودته كانت متدنية فصار يضرب المثل به في كل ما يحسن منظره دون مخبره.

القديد: وهو اللحم المجفّف، وفيه ورد المثل القائل:" شَرِيفُ قَوْمٍ يُطْعِمُ الْقَدِيدَ " (2008) ويشير المثل إلى أن القديد طعام الفقير، فالشريف لا يقدّدُ اللحم، ويضرب المثل لمن يظهر السَّخَاء ولا يُرَى منه إلا قليل خير.

اللحم: جاء ذكر اللحم في بعض الأمثال عامّا كقولهم: "استعجلت قديرها فامتلت" (2453)، والقدير: اللحم المطبوخ في القدر، والامتلال: الملّ وهو جعل اللحم في الرماد الحار، يضرب للعجل يصيب بعض مراده ويفوته بعض. و"أفسد الناس الأحمران اللحم والخمر" (2776) لما لكثرته من تأثير في صحة الإنسان. و" إن غلا اللحم فالصبر رخيص" (الميداني، 1: 87). بينما أشارت بعض الأمثال إلى أنواع بعض الحيوانات التي يقتنونها كلحم الحوار فقالوا: " كسؤر العبد من لحم الحوار" يضرب للشيء الذي لا يدرك منه شيء، وأصله أن عبدا نحر حوارا، فأكله كله، ولم يترك منه لمولاه شيئا، فضرب به المثل لما يفقد البتة. و" أمسخ من لحم الحوار، وأملخ من لحم الحوار" المسيخ والمليخ :الذي لا طعم له.

كما وثّقت الأمثال المروية أنّ العرب كانوا يأكلون لحوم بعض الحيوانات التي يصيدونها من البيئة التي يسكنون فيها، ومن ذلك: لحم الظَّبْيُ: وهو من أنواع الْغَزَال، وكان العرب يصيدونه بقصد الأكل (شَكَر، شاكر، 1985، 2: 287)، وقد يقدمونه قربانًا للآلهة، ومن الأمثال في ذلك: "أَفْرَعَ بِالظَّبْيِ وفي المِعْزَى دَتَر" (2790)، ويُقَال: أفْرَعَ، إذا ذبح الفَرَعَ، وهو أولُ ولدٍ تُنْتَجُه الناقة، كانوا يذبحونه لآلهتهم يتبركون بذلك، أي أفرعَ الظَّبْيَ، يعني ذبَحه، وفي المعزى كَثْرَة، يعني أن مِعْزَاه كثير وهو يذبح الظبى. يضرب لمن له إخْوان كثير وهو يستعين بغيره (الميداني، 2: 81). وقولهم: "أغَرُّ مِنْ ظَبْيٍ مُقْمِرٍ (2704) ومعناه أن الظبي صَيده في القمراء أسرع منه في الظلمة، لأنه يَعْشَى في القمراء، ويقَال معناه من الغرة بمعنى الغَرَارة، لا من الاغترار، وذلك أنه يلعب في القَمْرَاء.

ولحم الضَّبُّ: حيوان بريّ زاحف، يعيش في الصحراء ويتّخذ من الجحور بيوتًا له، وغالبًا ما تكون جحوره عند حجر فيهتدي الناس إليه بهذه العلامة، وكان الأعراب يأكلونه (ابن قتيبة، عبد الله، 3: 210)، ومن الأمثال التي تدل على اصطيادهم له او طبخهم له: " كلُّ ضَبٍّ عِنْدَهُ مِرْدَاتُهُ" (2992)، والمِرْدَاةُ: الحَجَر الذي يُرْمى به، والضب قليل الهِدَاية، فلا يتخذ جُحْره إلا عند حَجَر يكون علامة له، فَمَنْ قَصَدَه فالحجر الذي يرمى الضب به يكون بالقرب منه (الميداني، 2: 132). وأشارت الأمثال إلى صعوبة نضجه فقالوا: " مَا نَهِيَ الضَّبُّ ومَا نَضِجَ" (3807). وقولهم:" أَطْعِمْ أَخَاكَ منْ عَقَنْقَلِ الضَّبّ إِنَّكَ إنْ تَمْنَعْ أَخَاكَ يَغْضَبِ" (2271)، وعقنقل الضب: كرشُهُ وهو مِعًى من أمعائه فيه جميع ما يأكله. ويضرب المثل في وجوب المواساة للأخ.

ولحم الأرنب: فقد ورد ما يشير إلى أكلهم للأرنب، كما في قولهم:" أَطْعِمَ أَخَاكَ مِنْ كُلْيَةِ الأَرْنَبِ" (2281) يضرب في وجوب مواساة الأخ وتفضيله. والحبارى والقطا، كقولهم: " عند الله لحم حباريات" (2430)، و""عند الله لحم قطا سمان "يتمثل به في الشيء يتمنى ولا يوصل إليه.

وورد في الأمثال ما يشير إلى أنّ بعض العرب كانوا يأكلون رأس الذبيحة، بعد طبخه مع علمهم أنّ فيه بعض ما لا يستطيبونه، من ذلك قولهم: " إنّي لآكُلُ الرَّأْسَ وَأَنَا أعْلَمُ ما فِيهِ" (47)، أي: آكله وأعلم ما فيه مما أكرهه، والمثل يضرب للأمر تأتيه وأنت تعلم أن فيه بعض ما تكره، وقد سئل أعرابي: أتُحْسِنُ أن تأكل الرأس؟ قال :نعم؛ أعض العينين، وأفك لحييه، وأنقي خديه، وأرمي بالدماغ إلى من هو أحق مني، وكانوا يكرهون أكل الدماغ" (ابن عبدربّه، شهاب الدين، 20197، 205/7). ويبدو أنّ هذه العادة لم تكن شائعة كثيرًا، فقد قيل في مثل آخر:" إنّمَا هُمْ أكَلَةُ رَأْسٍ" (189) أي: عددهم قليل مثل عدد من يأكلون الرأس، والمثل يضرب للقوم يَقِلّ عددهم (الميداني، 1: 49).

ومن تلك العادات أيضًا، أكل الكتف، فقد ورد المثل القائل: "إنَّهُ لَيَعْلَمُ مِنْ أيْنَ تُؤْكَلُ الكَتِفُ" (164)، وأكل الكتف يحتاج إلى بعض المعرفة والخبرة، ولهذا يضرب المثل للرجل الداهية، ذلك أنّ أفضل طريقة لأكل الكتف من أسفلها، أمّا من أعلاها ففيه مشقة على الآكل؛ لانصباب مرقة اللحم عليه، ويقولون: تجرى المَرَقَة بين لحم الكتف والعظم، فإذا أخذتها من أعلى جَرَت عليك المرقة وانصبَّتْ، وإذا أخذتها من أسفلها انْقَشَرَتْ عن عظمها وبقيت المرقة مكَانَها ثابِتَةً (الميداني، 1: 42). ولأن أكل الكتف يحتاج إلى معرفة، حذّرت الأمثال أن تهدى فقيل:" لاَ تُهْدِي إلى حَمَاتِكِ الكَتِفِ" (3695) يضرب لمن يهدي إلى غيره بما لا يليق. وأصله أن امرأة وصَّتْ بنتها فَقَالَت :لاَ تهدي إلى حماتك الكتفَ لمعرفتها بأن أكلها يحتاج إلى مهارة.

وتظهر الأمثال في هذا القسم من البحث أنّ معظم مأكولات العرب كانت بسيطة ليست معقدة الطبخ من حيث طرق الإعداد، لبعد حياتهم عن الاستقرار، وعدم توفر الأدوات الكثيرة للطبخ، وغالبًا ما يدخل الحليب واللبن والسمن والدقيق والأقط في إعدادها، لأنها كانت مما يتوافر في بيئتهم، من حليب أو ما يصيدونه من النعام أو الظباء وهو ما وثقته الأمثال والأشعار (ضيف، شوقي، 1960، 80)، وقال شاعرهم مشيرًا إلى ما يأكله من طعام في البادية (الألوسي، محمود، 2009، 1: 380):

أكلتُ الضّباب فما عِفْتُها وإنّي لأشهى قَديد الغَنم

وركبتُ زُبدًا على تمرةٍ فنعمَ الطعامُ ونعم الأدم

وبعضها أخذه العرب عن الشعوب المجاورة، كالفالوذج. ويشير الثعالبي في كتابه فقه اللغة إلى أنّ كثيرًا من أَطْعِمَةِ العَرَبِ على جاءت وزن (فعلية)، كما أنها مُتَقَارِبَةُ الكَيْفِيَّةِ من حيث ما يستخدم فيها من مواد كالدَقِيقِ واللَّبَنِ والسَّمْنِ والتَّمْرِ، ومما اشتهر من تلك الأطعمة: السَّخِينَةِ، واللَّوِيقَةِ، والصَّحِيرَةِ، والرَبِيكَةِ والبَكِيلَةِ (الثعالبي، عبد الملك بن محمد. 2002، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت. 182). وأكثر الأطعمة المأكولة ورودًا في أمثال الطعام على الترتيب هي: اللحم، والتمر والرطب، ثمّ الزبد والبقل.

ثانيًا: أصناف الأشربة

الماء: وهو من أكثر الأشربة ورودًا في الأمثال، لأنه منبع الحياة وأساسها في حياة العرب الذين كانوا يعيشون في معظم بيئاتهم في صحراء جافة، ولهذا أشارت الأمثال إلى هذا العنصر الحيوي في حياتهم، ويمكن إيراد الامثال التي تضمنت الإشارة إلى الماء وطبيعة توظيفه في تلك الأمثال على النحو الآتي:

- بيان عذوبته وضرورة الحرص عليه

ومن أمثالهم في ذلك: " أطيب من الحياة، و"من الماء على الظمإ." (2347) فلا شيء يعادل عذوبته حين يكون الإنسان عطشًا، ولهذا حثّت الأمثال على ضرورة الحرص عليه وخاصة في بيئة صحراوية كبيئتهم، كقولهم:" إن ترد الماء بماء أوثق" يضرب في حمل مالا يضرك إن كان معك، وينفعك إن احتجت إليه. وهذا مثل قولهم: "أن ترد الماء بماء أكيس" (129).

ولهذا لا يتوقع من الماء إلا المنفعة، فقيل في ذلك:" لو بغير الماء غصصت" (3290). يضرب لمن يوثق به ثم يؤتى الواثق من قبله، وفي كثرة وجوده يضرب المثل لكل شيء كثير فيقال:" أوجد من الماء ومن التراب" (4458).

- توظيفه للإشارة إلى سوء الحال وتغيّره، كقولهم:" بات فلان يشوي القراح" (557) يعني الماء القراح، وهو الخالص الذي لا يخالطه شيء. يضرب لمن ساءت حاله ونفد ماله، فصار بحيت يشوي الماء شهوة للطبيخ. وقولهم:" كالقابض على الماء" (3062). وأحيانًا يضرب به المثل للرضا بالقليل: مثل الماء خير من الماء" (3917) قاله رجل عرض عليه مذقه لبن، فقيل له :إنها كالماء، فقال :مثل الماء خير من الماء، فذهبت مثلا. يضرب للقنوع بالقليل.

- الإشارة إلى أنواع من الماء، كقولهم:"عرفطة تسقى من الغوادق" (9)، أي: شجرة خشنة لا قيمة لها تسقى من الماء الكثير، يقال :ماء غدق، ويقال: سحابة غادقة، والغوادق :السحاب الكثير الماء يضرب للشرير يكرم ويبجل. وكقولهم: " نحن بأرض ماؤها مسوس" (4269)، والماء المسوس :الذي لا يعدله ولا يعدل به ماء عذوبة، وكقولهم:" أعذب من ماء البارق" (2621) وهو ماء السحاب يكون فيه البرق. و" وماء الحشرج" (2624) وهو ماء الحصا، و" وماء المفاصل" (2623) وهو ماء المفصل بين الجبلين، و" أصفى من ماء المفاصل" (2175). قال الأصمعي :هو منفصل الجبل من الرملة، يكون بينهما رضراض وحصا صغار يصفو ماؤه ويرق. و" وماء الغادية" (2622) وهو ماء السحابة التي تغدو. و" أحلى من ماء الفرات" (1234).

- الإشارة إلى بعض فوائد استعماله، كقولهم:" هرق على جمرك ماء" (4579) يضرب للغضبان، أي اصبب ماء على نار غضبك فهو مطفئ للغضب، وقد ورد في الحديث الشريف: "إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ" (ابن حنبل، أحمد، 2001، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت. 29: 505)

الحليب واللبن

الحليب واللبن من الأشربة الرئيسة عند العرب، فكانوا يعتمدون عليها في طعامهم ويصنعون منها الزبد والسمن والإقط، وكانوا يقدمونهما للضيافة إذ ليس من شيم العرب أن يبيعوه بل تقدم مجانًا دون مقابل، فقد قيل إنّ رجلاً مرّ بامرأة من العرب في بادية، فقال: هل من لبن يباع؟ فأجابته: إنك لئيم أو قريب عهد بقوم لئام (ابن قتيبة، 3: 207). وسمى العرب الحليب المقدّم للشرب صباحًا بالصبوح، والمقدّم في الظهيرة بالقيل، والمقدّم في المساء بالغبوق (ابن منظور، محمد، 8: 191) ومن أمثالهم في ذلك: قولهم: "عَنْ صَبُوحٍ تُرَقِّقُ" (2451) وقولهم: "لِكُلِّ صَبَاحٍ صَبُوحٌ" (3268)، وقولهم: " صَبُوحُ حَيَّانَ بِهِ جُمُوحُ" (2152). وقولهم:"هُرِيقَ صَبُوحُهُم على غَبُوقِهِمْ " (4486). ومن أمثالهم في الحليب قولهم:" لَيْسَ كلَّ حِبْنٍ أحْلِبُ فأشْرَبُ" (3325). أي: ليس كل دهرك يأتي كما تحبُّ. وأشارت الأمثال إلى أسماء أنواع من اللبن، منها:

- الرثيئة: وهو اللبنُ الحامض يُخلَط بالحلو، وفيه قولهم:" إنَّ الرَّثيئَةَ تَفْثَأُ الغَضَبَ" (7) أي: تسكّنه وتقلل تأثيره.

- القارص: وَهو الْحَامِضُ مِنْ أَلْبَانِ الْإِبِلِ خَاصَّةً، وورد فيه قولهم:" عَدَا القَارِصُ فَحَزَرَ" (2452)، أي: جَاوَزَ الْحَدَّ إِلَى أَنْ حَمضَ كثيرًا، ويضرب المثل في تَفَاقَمَ الْأَمْرُ واشتداد سوئه.

- الوالج: " شَرُّ اللَّبَنِ الوَالِج (1982) ويقصد به اللبن الذي يعود إلى البيت ولا يقدّم للضيف، فأحسن اللبن ما يقدم للضيف، وشره ما يعود إلى البيت. يضرب في الحثِّ على الإحسان إلى الناس.

- المظلوم: كما في المثل القائل: "مَظْلُوم وَطْبٍ يَشْرَبُ المُحَبَّبُ (4099)، فالمَظْلُوم والظَّليم :اللبن الذي يُحْقَن في السقاء حليبه على رائبه، ثم يُشْرَب قبل أن يَرُوبَ، ويضرب لمن أصاب خيراً ولاَ حاجَةَ به إليه كمن يشرب اللبن وهو رَيَّان.

- السَّمار: اللبَنُ الكثير الماء، كقولهم:" مِنْكَ رَبَضُكَ وإنْ كانَ سَمَاراً" (4006) أي منك قريبُك وإن كان رديئاً.

- الضَّيْح :اللبن الخاثر يرُقَّق بالماء يصب عليه. وهو أسرع اللبن ريًا. ومنه قولهم: " يَرْوَى عَلَى الضَّيحِ المَحْلُوبَ" (4682)، يضرب لمن لاَ يشتفي موعودُهُ بشيء، وذلك أن الريَّ الحاصل من الضَّيْح لاَ يكون متيناً وإن كان سريعاً. و" ما يَرْوَى غُلَّتَهُ بِالمضِيحِ المَحْلُوبِ" (3823).

- الرّوب: اللبن الرّائب، كقولهم:" ما عندَه شِوبٌ وَلاَ رَوب" (3957) أي: ما عنده شيء. والطلُّ: وهو اللبن، وفيه قولهم: "ما بِهَا طَلٌّ وَلاَ نَاطِلٌ" (3871)

الخمر: عرف العرب الخمر وصنّعوه من العنب والتّمر والشعير والزبيب والذّرة والعسل، وكان امتلاكه مما يفتخرون به قبل مجيء الإسلام، وشربه دليل على علّو المكانة (علي، جواد، 1993، 8: 256)، ومن الأمثال التي أشارت إلى هذا المشروب، قولهم: "اليَوْمَ خَمرٌ، وغَداً أمْرٌ" (4684) أي يشغلنا اليوم خمر، وغدا يشغلنا أمر، يعني أمر الحرب. وهو مثل قاله امرؤ القيس حين علم بمقتل أبيه. وقد ضرب المثل بحسن مذاقها فقيل: "أشْهَى مِنَ الخَمْرِ" (2066)، وقولهم: الخمر مَسْلاَة للهم، أي مُذْهِبة للحزن (الميداني، 1: 435)، ومن أشكال مدحها أنهم جعلوها مما يجود به البخيل أحيانًا فقالوا: "قدْ تُخْرِجُ الخَمْرُ مِنْ الضَّنِينِ" (2944)، يضرب للبخيل يُسْتَخْرَج منه شَيء حسن، و" الْخَمْرُ تُعْطِي مِنَ الْبَخِيلِ. أي أنه يكون بخيلا فيَجُود (1288).

على أنّ مدحهم للخمر لم يمنعهم من الإشارة إلى تأثيرها السلبيّ فقالوا: ما أطْيَبَ الخَمْرَ لَوْلاَ الخُمارُ (الميداني، 2: 329) أي: ما ألذّه لولا ما يجده شاربه من السّكر وذهاب الاتزان، يضرب لأمر لذيذ بذاته ضارّ بنتائجه (الثّعالبي، أبو منصور، 1985، 1: 620). ومثله قولهم: "كالخمر يُشْتَهى شربها ويُكره صُدَاعها" (3113) يضرب لمن يُخَاف شرُّه ويُشتهي قربُه. وقد يشيرون إلى مضارها فقط كما في قولهم: " أفْسَدَ النّاسَ الأحْمَرانِ اللّحْمُ والْخَمْرُ" (2776). و" ألأم مِنْ مَذاقِ الخمرِ" (3744). وأحياناً جعلوا غيرها من الآفات السلوكية أسوا منها كقولهم: ما الخمر صِرْفاً بأذْهَب للعقول من الطمع (الميداني، 451) فالطمع أسوأ تأثيرا على العقول من الخمر.

وتشير الأمثال أيضًا إلى أنّ العرب سمّوا الخمر بأسماء متعددة، ويبدو أنّ هذا من أشكال التطور اللغوي للكلمات في اللغة، ومما ورد من أسماء الخمر في الأمثال " الطّلاء":" هِيَ الخَمْرُ تُكْنَى الطِّلاَءَ" (4588)، ويروى أيضًا: "هي الخمر تكنى بأمّ الطّلاء" (شرّاب، محمّد، 2007، 1: 206) والأصل في هذا الاسم أنه يطلق على الخمر التي تطبخ حتى يذهب ثلثاها (الجبيلي، سجيع. 2009. المعجم المفصّل في المعاني والإنشاء. 177) فتصبح أشدّ تأثيرا، ولهذا يضرب المثل للأمر ظاهرُهُ حسن وباطنه على خلاَف ذلك. وقولهم:" ومَنْ يَشْرَب الصَّهْبَاء يُصْبِحُ مُسْكِرًا" (الميداني، 2: 20)، فالأصل أن الصهباء تطلق على الخمر المصنوع من العنب. (الجبيلي، سجيع. 2009، 177) ومن أسمائها الواردة أيضًا الناطل كما في المثل القائل: ما بِهَا طَلٌّ وَلاَ نَاطِلٌ (3871)، والطَّل :اللبن، والناطل :الخمر، والأصل في الناطل أنه ما يتبقى من الخمر في القدح الصغير، ثم صار يطلق على الخمر وهذا من التطور اللغوي للكلمات في اللغة. ومن أمثالهم في الخمر والخلّ: "ما أَنْتَ بِخَلٍّ وَلاَ خَمْرٍ" (3870) قَالَ أبو عمرو :بعض العرب يجعل الخمر للذتها خيراً والخل لحموضته شراً، وأنه لاَ يقدر على شربه، وبعضهم يجعل الخل شراً والخمر خيراً، ويقولون :لست منه هذا الأمر في خل ولاَ خمر، أي لست منه في خير ولاَ شر (الميداني، 2: 282). وفي تقديري أن الخمر مفضّل لديهم على الخلّ لقولهم في مثل آخر: لا يصبر على الخلّ إلا دوده. (الميداني، 2: 258). وقد وثقت بعض الأمثال أسماء من كانوا يصنعون الخمر ورأي الشاربين بها، فضرب المثل في ذلك كقولهم:" خَمْرُ أَبِي الرَّوْقَاءِ لَيْسَتْ تُسْكِرُ" (1314) يضرب للغنيّ الذي لا فضل له على أحد ولا إحسان إلى إنسان.

الخلُّ: ما حمض من عصير العنب وغيره (ابن منظور، محمد، 5: 144)، ومن الأمثال الواردة في الخلّ قولهم: "ما أَنْتَ بِخَلٍّ وَلاَ خَمْرٍ" (3870)، وقولهم:

لاَ يَجِيءُ مِنْ خَلِّهِ عَصِيرُهُ، وقولهم: الخَلُّ حَيْثُ لاَ ماءَ حَامِضٌ (الميداني، 1: 261)، وقولهم: لاَ يَصْبِرُ عَلَى الخَلِّ إلاَّ دُودُهُ" (الميداني، 2: 257).

العسل: وهو ما ينتجه النّحل، وللعرب فيه أمثال منها: " أَصفَى مِنْ جَني النّحْلِ" (2176)، وقولهم: "أَحْلَى مِنْ الْعَسَلِ" (1224)، و" إن للهِ جُنُوداً مِنْهَا العَسَلُ" (15)، و" ما عندَه شِوبٌ وَلاَ رَوب" (3957)، فالشَّوب العسل، والرَّوب :اللبن الرائب.

ويستخلص من هذا الجزء من البحث أنّ أكثر الأشربة ورودًا في الأمثال على الترتيب هي: الماء، ثمّ اللبن والحليب، والخمر، ثمّ العسل، وأظهرت الأمثال أنواعًا مختلفة من اللبن كان الناس يتناولونها، فقد كان اللبن مادة أساسية في حياتهم.

ثالثًا: وجبات الطعام

أشارت الأمثال إلى أسماء استعملها العرب للدلالة على وجبات الطعام التي كان يتناولون، كالصبوح، وهو شرب الحليب صباحًا، يقَال :صَبَّحْتُ القومَ إذا سَقَيْتَهم الصَّبُوح (ابن منظور، محمد، 1414هـ، 5: 58)، والغداء، ووقته الغداة بعد أن ترتفع الشمس، فالغَداة أو الغُدوة أول النهار من بعد طلوع الشمس، (ابن منظور، محمد، 15: 117)، وهذا يعني أن الصبوح والغداء كانا يتناولان في وقت الصباح، وأمّا الهَجُورِيُّ: وهو الطعامُ يُؤكل في نصف النهار فلم يرد في الأمثال، وإنما أشارت إليه المعاجم، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَسَمِعْتُ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الْعَرَبِ يَقُولُ : الطَّعَامُ الَّذِي يُؤْكَلُ نِصْفَ النَّهَارِ الْهَجُورِيُّ (الأزهري، محمد، 2001، 6: 31)، من الهاجرة، وهِيَ قَبْلَ الظُّهْرِ بِقَلِيلٍ وَبَعْدَه بِقَلِيلٍ (ابن منظور، محمد، 15: 24). والْقَيْلُ: هو اللبن الذي يشرب وقت الظهيرة (ابن منظور، 11: 577) والغبوق: شرب الحليب مساءً، ثمّ العشاء ووقته الليل، فهو ما يقدّم من طعام في الليل، يقال عَشَّيْتُ الرَّجُلَ إِذَا أَطْعَمْتَهُ الْعَشَاءَ (ابن منظور، 15: 62).

ويبدو أنّ تطوّرًا دلاليًا قد أصاب هذه التسميات في العصور المتأخرة، فصار طعام الصباح يعرف بالفَطُور، والأصل في الفطور ما يفطِر عليه الصائم، فقد جاء في لسان العرب:" وَالْفِطْرُ: نَقِيضُ الصَّوْمِ، وَقَدْ أَفْطَرَ وَفَطَرَ.. وَالْفَطُورُ: مَا يُفْطَرُ عَلَيْهِ"(ابن منظور، محمّد، 11: 197)، ثمّ وُسِّعت دلالة الكلمة لتشمل الطعام الذي يأكله الناس في الصّباح، فكما أن الصائم يفطر بعد الانقطاع عن الأكل من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، فإن الناس يفطرون في الصباح بعد الانقطاع عن الأكل مدة نومهم، فيكون هذا الطعام أول ما يتناولونه بعد ذلك الانقطاع. وكذلك الحال بالنسبة لكلمة "الغداء" فقد وسّعت دلالتها لتدلّ على الطعام الذي يؤكل وقت الظهيرة، وأهملت كلمة الهجوري فلم تعد مستعملة، وبقي العشاء على أصل دلالته، وهو ما يؤكل في الليل من طعام. ومن الأمثال التي أشارت إلى أسماء بعض تلك الوجبات:

- الصّبوح: فقد ورد المثل القائل: "عَنْ صَبُوحٍ تُرَقِّقُ" (2451) فالصَّبُوح :ما يشرب صَبَاحاً، والغَبُوق :ما يُشْرَب في العَشِيّ (الميداني، 2: 21). وقولهم: "لِكُلِّ صَبَاحٍ صَبُوحٌ" (3268)، أي كلُّ يوم يأتي بما ينتظر فيه (الميداني، 2: 182). وقولهم: " صَبُوحُ حَيَّانَ بِهِ جُمُوحُ" (2152) وحَيَّان :اسم رجل، يضرب لمن يَتَصَدَّر للرياسة في غير حِينها (الميداني، 2: 406).
- الغبوق: ورد فيه قولهم:"هُرِيقَ صَبُوحُهُم على غَبُوقِهِمْ " (4486) يضرب للقوم نِدِمُوا على ما ظهر منهم .وقَالَ بعضهم :أي ذَهَبا جميعاً فلاَ صَبُوحَ ولاَ غَبُوقَ (الميداني، 2: 386).
- الغداء: وورد فيه قولهم:" تَغَدَّ بالْجَدْيِ قَبْلَ أَنْ يَتَعَشَّى بِكَ" (692)، يضرب في أخذ الأمر بالحزم (الميداني، 1: 139). وقولهم: " خيْرُ الغَدَاءِ بَوَاكِرُهُ، وَخيرُ العَشَاءِ بَوَاصرُهُ" (1301).
- العشاء: وورد فيه قولهم: "إنَّ عَلَيْكَ جُرَشْاً فَتَعَشَّه" يضرب لمن يؤمر بالاتّئاد والرفق في أمرٍ يبادره، فيقال له :إنه لم يَفُتْكَ، وعليك وقت من الليل بعدُ، فلا تعجل (الميداني، 1: 12). ويستنتج من هذا الجزء من أنّ وجبات الطعام التي وردت في الأمثال هي: الصبوح، والغداء ووقتهما الصباح، والغبوق والعشاء في المساء. وأما طعام الظهيرة فلم يرد ذكره في الأمثال، ويبدو أنّ كلمة "الغداء" قد أصابها تطور دلالي في العصور الحديثة، فقد صارت تطلق على طعام الظهيرة، بينما استعملت كلمة الفطور لطعام الصباح. كما أنّ الصبوح لم تعد مقصورة على تناول الحليب صباحًا، فقد وسّعت دلالتها لتشمل كل ما يؤكل صباحًا طعامًا كان أو حليبًا، وأهمل استعمال لفظ الغبوق نتيجة لتطور المجتمعات العربية، وتحضرها واستقرارها.

رابعًا: أطعمة مرتبطة بمناسبات اجتماعية

من العادات المعروفة لدى العرب أن يصنعوا الطعام في المناسبات الاجتماعية التي تجري في حياتهم، فمن المعروف أنّ الناس يمرون في أحوال مختلفة في حياتهم من أفراح أو أتراح، أو كالولادة، أو بناء البيوت، أو غير ذلك. وقد ورد في الأمثال ما يشير إلى أسماء بعض الأطعمة التي كان العرب يصنعونها في بعض المناسبات الاجتماعية، فتسمّى بحسب المناسبة التي تصنع لها، كقولهم: " كُلَّ الطَّعَامِ تَشْتَهِى رَبيعَه الخُرْس وَالإعْذَار والنقِيعَةْ" (3084)، فالمثل يوثّق لأسماء بعض هذه الأطعمة التي خصّت بتلك المناسبات، وهي: الخرس، ويقصد به طعام الولادة، والإعذار :طعام الختان، والنقيعة طعام القادم من سفر (الميداني، د.ت، 2: 153). ومن ذلك أيضًا، قولهم:" تَخَرَّسِي يا نَفْسُ لا مُخَرِّسَ لَكِ" (635)، أي اصْنَعِي لنفسك الْخَرْسَةَ، وهي طعام النُّفَسَاء، قالته امرأة وَلَدَتْ ولم يكن لها من يهتمُّ بشأنها. وبطبيعة الحال فإنّ الأمثال لم يرد فيها جميع تلك الأسماء، وإنما بعضها، وهو ما أورده البحث في هذا الجزء فحسب.

خامسًا: آداب الطعام وحكم العرب فيه

للأمثال وظيفة تعليمية وتربوية مهّمة في توجيه الناس والتأثير في سلوكهم، ولذلك غالبًا ما يلحظ فيها الحثّ على الآداب والأفعال الحسنة، والنّهي عن الأفعال السيئة، ومن الجوانب التي حثت عليها الأمثال آداب الطعام، ويبدو أنّ الشعوب جميعا اهتمت بآداب الطعام والشراب واللباس والجلوس والقيام (بوشيبة، بركة، 2008، 79) والعرب كغيرهم من الشعوب كانت لهم معايير تخصّ الطعام شكّلت ثقافة عامة لديهم كانوا يراعونها في حياتهم، ويتلقّاها الناس بالقبول، ومخالفتها كانت تعرّضهم للنقد والهجاء والذّم من الآخرين (الألوسي، محمود، 2009، 1: 370)، ويمكن ملاحظة ذلك في ما ورد من الأمثال بوصفها ممثلة للبيئة، وثقافة الناس، وقيمهم في ذلك الوقت، ومن تلك القيم:

الكرم

فقد حثّت الأمثال على الكرم، وأعلت من شأنه، وجعلته صفة وقيمة تستحق الثناء، وحين يذكر الطعام فإنّ الكرم من أبرز الصفات والقيم التي يقترن بها عند العرب، ومن مظاهر حرصهم على هذه القيمة أنهم كانوا يوقدون النار في الليل في الأماكن العالية قرب مساكنهم في الصحراء حتّى يهتدي الضيوف إليها فيكرمونهم، وكان العرب يمدحون أصحاب النيران، ويذمون أصحاب الإخماد،..وكلما كان موضع النار أشدّ ارتفاعا، كان صاحبها أجود وأمجد، لكثرة من يراها من البعد (الجاحظ، أبو عثمان، 1419، 308). وقد وثّقت الأمثال هذا فجاء فيها قولهم: " بَرِّزْ نَارَكَ وَإِنْ هَزَلْتَ فارَكَ (499) أي: أظهر نارك ليراها الضيوف، وإن أدى ذلك لإنهاكك وضعف جسمك.

ومن مظاهر كرمهم أيضًا أنهم اتّخذوا الكلاب ليهتدي إليهم من لم يعرف المنازل، فيعرفون حين يسمعون نباحها أن ضيفًا قد وصل، فترشدهم الكلاب إلى مكان البيت، وقد جاء في الأمثال ما يشير إلى هذا كقولهم:" ما يُعْوَى ولاَ يُنْبَحُ" (3905) وفيه ذم لمن لا ينبح له؛ لأن ذلك يعني قلة الضيوف، أي لاَ يُعْتَدُّ به في خير ولاَ شر لضعْفه؛ لأن نُبَاح الكلب يبشر بمجيء الضيف (الميداني، 2: 286).

وحثًّا على الكرم وإعلاءً لشأنه خلّدت الأمثال ذكر مجموعة من الشخصيات التي اتّصفت به، فأصبح يضرب بها المثل في هذا الخلق، ومن أبرز تلك الشخصيات: حاتم الطّائي، الذي قيل فيه: "أَجْوَدُ مِنْ حَاتِمٍ" (977)، فقد روي أنه ذبح فرسه لامرأة جاءت تشكو الجوع، وهو القائل لزوجته (حاتم الطائي، 1981، 42):

إذا ما صَنعت الزاد فألْتَمِسِي له ... أَكِيلا فإنّي لست آكله وحدِي

أخاً طارقاً أو جار بيتٍ فإنني ... أخافُ مَذَمّاتِ الأحاديثِ من بعدي

وإنّي لعَبْدُ الضّيفِ ما دام ثاوياً ... وما فيّ إلاّ تلكَ من شيمةِ العَبدِ

وهرم بن سنان، الذي سعى مع الحارث بن عوف في الصلح بين عبس وذبيان، وتّحملا ديات القتلى فحلّ السلام في غطفان، فضرب المثل به فقيل:" أَجْوَدُ مِنْ هَرِمٍ" (1004). وكَعْبِ بْنِ مَامَةَ الإيادي، واشتهر بإيثاره لأصدقائه على نفسه في شرب الماء، وقد ضلّوا في الصحراء حتى مات، فقيل فيه:" أَجْوَدُ مِنْ كَعْبِ بْنِ مَامَةَ" (978). وفي كرمه وكرم حاتم ضرب المثل بهما معًا فقيل:" أَكْرَمُ منْ أَسِيْرى عَنَزةَ، وهما حاتم الطائي وكعب بن مامَةَ "(3226)،

ووردت مجموعة من الأمثال تحثّ على الكرم من خلال تخليدها لذكر بعض من اشتهروا بالكرم، وتبدأ بـ(أقرى) والقِرى إطعام الضيف وإكرامه، وأشهر هذه الأمثال، قولهم: " أقْرَى مِنْ أزْمَاقِ المُقْوِينَ" (2967) وهم: كَعْب، وحاتم، وهَرِم. وضرب المثل بكرم زاد الرّكب، وهم ثلاثة رجال من قريش: مَسَافر بن أبي عمرو بن أمية، وأبي أمية بن المغيرة، والأسود بن عبد المطلب، سموا زاد الركب؛ لأنهم كانوا إذا سافرُوا مع قومٍ وفّروا لهم كل ما يحتاجونه، (الميداني، 2: 127)، فقيل فيهم:" أقْرَى مِنْ زَادِ الرَّكْبِ" (2962). و" أقْرَى مِنْ آكِلِ الخُبْزِ (2966) وهذا المثل تميمي، وآكل الخبز :عبدُ الله بن حَبيب العنبري أحد بني سَمُرَة، سُمّيَ آكل الخبز لأنه كان لا يأكل التَّمْر، ولا يرغب في اللَّبن (الميداني، 2: 128). وقولهم:" أقْرَى مِنْ مَطَاعِيمِ الرِّيح" (2965)، وهم أربعة رجال عرفوا بالكرم: كنانة بن عبد يَالِيل الثَّقَفي عم أبي محجن، ولَبيد بن ربيعة، وأبوه، كانوا إذا هَبَّتِ الصَّبَا أطْعَمُوا الناسَ، وخصوا الصبا؛ لأنها لا تهبُّ إلا في جَدْب (الميداني، 2: 127). و"أَقْرَى مِنَ حَاسِي الذَّهبِ" (2963) وهو عبد الله بن جُدْعَان التَّيمي من قريش اشتهر بكرمه. وقولهم: "أقْرَى مِنْ غَيْثِ الضَّرِيكِ" (2964). وهو قَتَادَة بن مَسلمة الحنفي، والضَّرِيك :الفقير.

ومن الأمثال التي يلحظ فيها الحثّ على الكرم أيضًا قولهم: "أهْدِ لِجَارِكَ أشَدُّ لمَضِغِكَ" (4479) يعني أنك إذا أهديتَ لجارك أهْدَى إليك. ومن كرمهم أنهم كانوا يهتمون بالضيف ويؤثرونه على أنفسهم ويبالغون في خدمته، ومن الأمثال التي أشارت إلى ذلك قولهم:" إلَيْكَ أُنْزِلَتِ الْقِدْرُ بِأحْنائِهَا" (191)، أي: بكل ما فيها، وبعض الأمثال أشارت إلى إيثار الآخرين كصورة من صور الكرم، كقولهم: "آثَرْتُ غيري بِغُرَاقَاتِ القِرَبِ" (351) والغُرْقَة والغُرَاقة: القليلُ من الماء واللبن وغيرهما، يَدّخره المرءُ لنفسه ثم يُؤْثر به غيره على نفسه (الميداني، 1: 68).

ومن مظاهر الكرم لدى العرب أنهم كانوا يحرصون على راحة الضيف واستقباله بالبشر فيلاطفونه ويحدثونه حتّى يدفعوا عنه الاستحياء فيستأنس ويأكل من الطعام ويشبع منه دون حرج، فقالوا: "من تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة، وإطالة الحديث عند المواكلة" (الجاحظ، أبو عثمان، 1998، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السّلام هارون، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة. 1: 33) ولهذا قال الشاعر في وصف استقباله لضيفه:

لِحافي لِحافُ الضَيفِ وَالبَيتُ بَيتُهُ ... وَلَم يُلهِنِي عَنهُ غَزالٌ مُقَنَّعُ

أُحَدِّثُهُ إِنَّ الحَديثَ مِن القِرى وَتَكلَأُ عَيني عَينَهُ حينَ يَهجَعُ

فالشاعر يفتخر بأنه لا يلهه شيء عن ضيفه من زوجة أو غير ذلك، حتّى وإن كانت كالغزال في حسن الجمال، ويحدّثه ويؤنسه ببقائه حوله حتى يصير إلى مهجعه.

ويصف حاتم الطائي استقباله لضيفه بالبشر والابتسام عند استقباله فيقول (الرّاغب الأصفهاني، أبو القاسم، 1999، 1: 752):

أُضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ وَيَخْصَبُ عِنْدِي وَالْمَحَلُّ جَدِيبُ

وَمَا الْخَصْبُ لِلْأَضْيَافِ مِنْ كَثْرَةِ الْقِرَى وَلَكِنَّمَا وَجْهُ الْكَرِيمِ خَصِيبُ

ومن صور الاهتمام بالضيف أنّ يعجّل له الطعام، وإذا حدث أنْ تأخّر الطعام في النضوج، فمن عادات العرب أن يقدّم للضيف ما يسدّ جوعه من حواضر البيت حتى ينزل الطعام، وهو ما يعرف باللهنة، ولهذا جرى قولهم مجرى المثل: لَهّنوا ضيفكم" (الثعالبي، أبو منصور، 1981، التمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتاح الحلو، ط2، الدّار العربية للكتاب، القاهرة، 276) أي قدّموا إليه ما يتعلّل به قبل إدراك الغداء أو العشاء.

التحذير من البخل وذمّ من يتّصف به

وإذا كانت الأمثال السابقة جاءت في الحث على الكرم، فقد جاءت أمثال أخرى تحذّر من البخل وتذمّه وتذمّ من يتّصف به، كما في الأمثال الآتية: " لاَ يَكْسِبُ اَلْحَمْدَ فَتًى شَحِيحُ" (3705)، وقولهم: " أَبْخَلُ مِنْ مادِرٍ (568) وهو رجل اشتهر ببخله، فأصبح يضرب المثل ببخله، و " أَبْخَلُ مِنْ ذِي مَعْذِرَة" (570) أي: أنّ التعذّر جزء من البخل، فبعض الناس يختلق الأعذار حتى لا يكرم ضيفه، ولكن الكريم يصنع كل شيء ليكرم ضيفه حتّى ولو ضحّى بطعام أسرته وأطفاله، وهذا مأخوذ من قولهم في مثل آخر :المَعْذِرة طَرَفٌ من البخل (الميداني، 1: 114)، وقولهم: " أَبْخَلُ مِنَ الضَّنِينِ بِنَائِلِ غَيْرِهِ" (571)، وقولهم: " كأنها نار أبي الحُبَاحب" (3063) قَال الأَصمَعي :هو رجل كان في الجاهلية، فكان لا يظهر ناره في الليل خوفًا أن يراها ضيف في الليل فيأتي إليه، وقد بلغ من بخله أنه كان إذا أوقَدَ السراج فأراد إنسان أن يأخذ منه أطْفَأَه، فضُرِب به المثلُ في البخل (الميداني، 2: 149). وقولهم:" أَلأم مِنْ البَرَمِ القَرُونِ" (3724)، وهو رجل بخيل دفَع إلى امرأته قِدْراً لتستطعم من بيوت الأيسار؛ لأن بذلك كانت تجري عادةُ البَرَم، فرجعت بِالقِدْر فيها لحم وسَنَام، فوضعتها بين يديه وجمعت عليها الأَوْلاَد، فأقبل هو يأكل من بينهم قطعتين قطعتين، فَقَالَت المرأة :أبَرَماً قَرُوناً؟ فصار قولها مثلاً في كل بخيل يجر المنفعة إلى نفسه (الميداني، 2: 252). ومن صور ذمّهم للبخيل قولهم: نَظِيفُ القِدْرِ، لأنّ البخيل قليل الطبخ وإكرام الضيوف، فنظافة قدره دلالة على بخله (الميداني، 2: 358).

الحمد والشكر

خلق كريم فيه اعتراف بفضل الآخرين واحترام لهم، وقد ورد في الأمثال الحثُّ على تقديم الشكر لمن أطعم وأكرم، كقولهم:" أَكْلٌ وَحَمْدٌ خَيْرٌ مِنْ أَكْلٍ وَصَمْتٍ (259) يضرب في الحث على حمد مَنْ أحسن إليك. وفي المقابل حذّرت الأمثال من الأكل والذّم؛ لأن ذلك ليس من الشيم المحمودة، فقالوا: " أَكْلاً وَذَمًّا " (107) أي يؤكل أكلا ويذم ذماً.

الدّعوة إلى الإقلال من الأكل وذمّ الإكثار منه

من الآداب التي حثّت عليها الأمثال: الإقلال من الطعام وعدم الإكثار منه، حماية للأجسام من الأمراض، ومن أمثالهم في ذلك، قولهم: "البِطْنَةُ تَأفِنُ الفِطْنَةَ" (534) أي: إنّ الشبع والامتلاء يضعف الفطنة والانتباه، وقولهم:" نِعْمَ الدَّوَاءُ الأَزْمُ (4253) أي: نعم الدواء الحمية، وهم يرون أنّ أفضل ما يداوى به الشبع والامتلاء هو الإقلال من الأكل فقالوا: " ليس للبطنة خير من خمصة تتبعها" (الميداني، 2: 342). و " لَيْسَ لِشَعْبَةٍ خَيْرٌ مِنَ صَفْرَةٍ تَحْفِزُها" (3321) والصَّفْرَة :الجَوْعة. وكانوا يقولون: إنّ ابن آدم أسير الجوع صريع الشّبع (ابن قتيبة، أبو محمد. 1925، 3: 342)، وحثوا على ألّا يملأ الآكل بطنه والاكتفاء ببعضه فقالوا: " كلْ فِي بَعْضِ بَطْنِكَ تَعِفَّ" (الميداني، 2: 171). وتجنّب أكل الطعام الدّسم فقالوا: "مَنْ أكل السّمين اتّخَم" أي أصابته التخمة (الميداني 2: 382)، وهو ما حث عليه الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلم في قوله الذي يجرى مجرى المثل: مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ" (التّرمذي، محمد بن عيسى، 1975، سنن الترمذي، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، ط2، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر. 4: 590)

ولما كان الإكثار من الأكل من الصفات المذمومة عند العرب فقد ذمّوا الرجل الأكول فقالوا في مَثَلٍ: " أَبْرَماً قَرُوناً" (508) البرم البخيل، والقَرُون :الذي يَقْرِن بين الشيئين شرها في الأكل، وأصله أن رجلا كان لا يدخل في المَيْسِر لبخله، ولا يشتري اللحم، فجاء إلى امرأته وبين يديها لحمًا تأكله، فأقبل يأكُلُ معها بَضْعَتين بضعتين ويَقْرِن بينهما، فقالت امرأته :أبْرَماً قَرُوناً، أي أراك بَرَما وقَرُونا. يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين (الميداني، 1: 103). ومن ذلك أيضًا قولهم:" مَنْ أكلَ عَلَى مائِدَتَيْنِ اخْتَنَقَ" (الميداني، 2: 327). و " جَعَلَ بَطْنَهُ طبْلاً وقَفاهُ اصْطَبْلا" (الميداني، 1: 190).

ودعوا أن ألّا يأكل المرء أو يشرب إلا إذا كان محتاجًا لذلك فقالوا في مَثَلٍ:" لا تَأْكُلْ حتَّى تَطِيرَ عَصَافِيرُ نَفْسِكَ (3560)، أي حتى تشتهي وتنطلق نفسك للطعام (الميداني، 2: 226). كما حثت الأمثال على التأني في الشرب كقولهم: " إنَّكَ رَيَّانُ فَلاَ تَعْجَلْ بِشُرْبِكَ" (392). و" اعْلُلْ تَحْظُبْ". (2450). أي اشرب مرةً بعد مرة تسمن. يضرب في التأني عند الدخول في الأمور رَجَاء حسن العاقبة. (الميداني، 2: 21).

ودعت الأمثال أيضًا إلى الإقلال من الأكل قبل النوم فجاء في المثل: " أَقْلِلْ طَعَامَكَ تَحْمَدْ مَنَامَكَ (2899) لأن كثرته تؤدي إلى التخمة والأمراض. وحثّت الأمثال على التوازن بين الأكل والجوع، فقالوا في مثَلٍ:" البَطْنُ شَرُّ وعاءٍ صِفْراً، وَشَر وِعاءٍ مَلآنَ" (541) يعني إن أخْلَيته جُعت وإن مَلأَته آذاك فيجب التوازن في ذلك رعاية للصحة والعافية. ودعت الأمثال إلى عدم أكل بعض الأطعمة مراعاة للصحة كقولهم:" إِذَا لَمْ يَكُنْ لَكَ اسْتٌ فَلاَ تَأْكُلِ الْهِلِيلَج.(الميداني، 1: 88) وهو نبات يؤثّر في المعدة ويصنع منه أدوية للعلاج (ابن منظور، 2: 392)

ذمّ الذهاب إلى الطعام دون دعوة

من آداب العرب في الطعام أن لا يذهبوا إلى المآدب والولائم إلا بدعوة، ولهذا ذمّوا التّطفل على الموائد وضربوا المثل تشنيعًا على من يقوم بذلك، وكان العربُ بالبادية تسمّى من يذهب إلى طعامٍ لم يُدع إليه :وَارِشا، وتقول لمن فعل ذلك على الشراب :وَاغِل، ثمّ شاع أن يسمّى من يفعل ذلك بالطّفيلي، ويبدو أنّ سبب ذلك أنّ رجلًا اسمه طُفيل بن زَلّال من الكوفة اشتهر بأنه فعل هذا الشيء فصار مثلاً ينسب إليه كل مَنْ يفعل فعله فيُقَال :طُفَيلي (الميداني، 2: 380).

ومن الأمثال التي قيلت في هذا، قولهم:" أَوْغَلُ مِنْ طُفَيلٍ" (4445)، و" أَطْمَعُ مِنْ طُفَيْلٍ" (2334). واشتهر أشعب وهو رجل من أهل المدينة بالتطفّل فضرب بطمعه المثل فقيل:" أطمع من أشعب" (2333). ولهذا استحسن العرب أن يتّكل المرء على طعامه فيقنع بما لديه، ولا يتطلّع إلى ما عند الآخرين لما في ذلك من سوء الطبع؛ فقيل في المثل:" من اتّكل على زاد غيره طال جوعه" (الميداني، 2: 328). ومن ذلك أيضًا قولهم:" عم العاجز خرجه" (2484)، ويروى "عمك خرجك "وأصله أن رجلا خرج مع عمه إلى سفر ولم يتزود؛ اتكالا على ما في خرج عمه، فلما جاع قال :يا عم أطعمني، فقال له عمه :عمك خرجك (الميداني، 2: 27) يضرب لمن يتكل على طعام غيره.

استحسان التبكير في الغداء والتعجيل في العشاء

ورد في الأمثال إلى ما يشير إلى استحسان العرب للتبكير في الغداء وتعجيل العشاء، لما في ذلك من صحة للجسم، وصونًا للمرء من التطلّع إلى طعام الآخرين فقالوا: "خير الغداء بواكره، وخير العشاء بواصره" (1301)، والبواكر هي الساعات الأولى من الصبح، وهذا المثل فيه دليل على أنّ كلمة الغداء قد أصابها تطور دلالي، فأصل معناها الدلالة على الطعام الذي يقدّم في وقت الغداة وهو وقت الصباح، ولكن هذا اللفظ في العصر الحالي يطلق على الطعام الذي يتناوله الناس في الظهر أو بعده، وأمّا البواصر فهي الساعات الأولى من المساء التي لا يزال يبصر فيها ضوء النهار قبل أن يجيء الظلام، ويروى:" خير الغداء بواكره وخير العشاء سوافره" أي: الأكل والضوء موجود، ولمّا يدخل الظّلام (الرّاغب الأصفهاني، أبو القاسم، 1999، 1: 727).

ويظهر هذا الجزء من البحث أنّ أكثر آداب الطعام وحكمه ورودًا في الأمثال: الكرم وجاء ذلك فيما لا يقل عن 14 مثلًا. ثم الدعوة إلى الإقلال من الأكل حماية للجسم فقد ورد ذلك في 15 مثلًا، وذمّ البخل والبخلاء في 7 أمثال، وذم الذهاب إلى الطعام من غير دعوة في 5 أمثال، والحث على التبكير في الغداء والعشاء في مثل واحدٍ.

الخاتمة والنتائج

باستقراء الأمثال الواردة في كتاب مجمع الأمثال، استخلصت عيّنة ممثلة لأمثال الطعام بلغت 174 مثلًا ورد ذكرها ودراستها في ثنايا هذا البحث، ويمكن تفصيل موضوعاتها وعددها على النحو الآتي:

- أمثال أصناف الأطعمة المطبوخة وغير المطبوخة 62 مثلًا.
- أمثال الأشربة 55 مثلًا.
- أمثال وجبات الطعام وما يرتبط منها بمناسبات اجتماعية 9 أمثال.
- أمثال آداب الطعام وحكم العرب فيه 48 مثلًا.

ومن خلال دراسة هذه العينة خلص البحث إلى عدد من النتائج:

- كثرة الأمثال التي توثّق أنواع الأطعمة التي كان الناس يتناولونها. فكان كثير من هذه الأطعمة مما يجنونه من النباتات التي تنبت في بيئتهم: كالبقل والتمر، والرطب والدّباء، والرطب والكمأة. أو مما يصيدونه كالضّب، والظبي، وطيور الحبارى والأرانب.
- بساطة الأطعمة المطبوخة، من حيث المواد التي دخلت في طبخها أو في طريقة الطبخ، ويبدو أن طبيعة الحياة التي عاشها العرب قد أثّرت في ذلك. وغالبًا ما يدخل الحليب واللبن والسمن والدقيق والأقط في إعدادها، لأنها كانت مما يتوافر في بيئتهم.
- أكثر الأطعمة المأكولة ورودًا في أمثال الطعام على الترتيب هي: اللحم، والتمر والرطب، ثمّ الزبد والبقل.
- أكثر الأشربة ورودًا في الأمثال على الترتيب هي: الماء، ثمّ اللبن والحليب، والخمر، ثمّ العسل، وأظهرت الأمثال أنواعًا مختلفة من اللبن كان الناس يتناولونها، ولا عجب إذ كان اللبن مادة أساسية في حياتهم.
- بعض الأمثال ذكرت وجبات الطعام كالصبوح، والغداء وكانا يُتناولان في وقت الصباح، والغبوق والعشاء في المساء. وأما طعام الظهيرة فلم يرد ذكره

في الأمثال، ويبدو أن كلمة "الغداء" قد أصابها تطور دلالي في العصور الحديثة إذ تستعمل لطعام الظهيرة. كما أن بعض الأمثال وثقت أنواعً من الأطعمة ارتبطت بمناسبات اجتماعية.

- الكرم من القيم التي حفلت الأمثال بها، فقد كثر ذكره والحث عليه فيما لا يقل عن 14 مثلًا، وخلّدت تلك الأمثال ذكر شخصيات عرفت بالكرم وأصبحت مضربًا له، كما أنها ذمت البخل والبخلاء وجاء ذلك في 7 أمثال.
- للأمثال قيمة تربوية، ولهذا أشارت إلى بعض الآداب والحكم كالإقلال من الأكل للحفاظ على الصحة، والتبكير في تناول الطعام، وذم الذهاب إلى الطعام دون دعوة.

المصادروالمراجع

الأزهري، م.. (2001). *تهذيب اللغة*. (ط1). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

إسماعيل، ع. (2013). *الأدب وفنونه*. (ط9). القاهرة: دار الفكر العربي.

الأصفهاني، ا. (1999). *محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء*. (ط1)، بيروت: شركة دار الأرقم.

الأصمعي، . (1951). *كتاب ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه*. (د.ط). دمشق: المطبعة الهاشمية.

الألوسي، م. (2009). *بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب*. (ط2). القاهرة: دار الكتاب المصري.

الأنصاري، أ. (1981). *النوادر في اللغة*. (ط1). مصر: دار الشّروق.

بركات، ح. (2000). *المجتمع العربي في القرن العشرين*. (ط1). تونس: مركز دراسات الوحدة العربية.

بوشيبة، ب. (2008). *المائدة في الشعر العربي القديم. رسالة دكتوره غير منشورة*، جامعة الجزائر، الجزائر.

الثّعالبي، أ. (1985). *ثمار القلوب في المضاف والمنسوب*. (د.ط). القاهرة: دار المعارف.

الثعالبي، أ. (1981). *التمثيل والمحاضرة*. (ط2). القاهرة: الدّار العربية للكتاب.

الجاحظ، أ. (1999). *البخلاء*. (ط2). بيروت: دار ومكتبة الهلال.

الجاحظ، أ. (1998). *البيان والتبيين*. (ط7). القاهرة: مكتبة الخانجي.

الجبيلي، س. (2009). *المعجم المفصّل في المعاني والإنشاء*. بيروت: دار الكتب العلمية.

الجوهري، أ. (1987). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. (ط4). بيروت: دار العلم للملايين.

الحرَّاني، أ. (2003). *الأوائل*. (ط1). بيروت: دار ابن حزم.

ابن حنبل، أ. (2001). *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. (ط1). بيروت: مؤسسة الرسالة.

السّالم، ع. (2011). الأمثال مدخل لفهم الثقافة التنظيمية. *مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة* ، ، *بغداد*، 26.

السجستاني، أ. (1986). *كتاب الفرق. مجلة المجمع العلمي العراقي*، 1(37) 226.

شُرَّاب، م. (2007). *شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية*. (ط1). بيروت: مؤسسة الرسالة.

شكر، ش. (1985). *الحيوان في الأدب العربي*. (ط1). بيروت: عالم الكتب.

الشّهري، ع. (2004). *استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية*. (ط1). بيروت: دار الكتاب الجديد المتجدد.

ضيف، ش. (1960). *تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي*. (ط2). القاهرة: دار المعارف.

الطائي، ح. (1981). *ديوان حاتم الطائي*. (د.ط). بيروت: دار صادر.

ابن عبد ربه، ش. (2019). *العقد الفريد*. (ط1). لبنان: دار الفكر.

أبو عبيدة، م.(د.ت). *كتاب الدّيباج*. كتاب إلكتروني، متاح على الشبكة https://shamela.ws/book/636/3

علي، ج. (1993). *المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام*. (ط2). بغداد: جامعة بغداد.

ابن فارس، أ. (1979). *معجم مقاييس اللغة*. (د.ط). دمشق: دار الفكر.

فتحي، م. (2001). *موسوعة الأمثال العربية الفصحى*. (ط1). عمان: دار أسامة للنشر.

ابن قتيبة، ع. (1925). *عيون الأخبار*. (د.ط). دار الكتب المصرية، بيروت: دار الكتاب العربي.

قطامش، ع. (1988). *الأمثال العربية: دراسة تحليلية*. (ط1). دمشق: دار الفكر.

كيال، م. (1993). *معجم دُرر الكلام في أمثال أهل الشام*. (ط1). بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

ابن منظور، م. (1994). *لسان العرب*. (ط3). بيروت: دار صادر.

الميداني، أ. (د.ت). *مجمع الأمثال*. بيروت: منشورات دار النصر.

نجم، أ. (2016). *ثقافة الطعام في مجتمع محلي. رسالة ماجستير غير منشورة*، الجامعة المستنصرية، بغداد.
نهر، هـ. (1988). *علم اللغة الاجتماعي عند العرب*. (ط1). بغداد: الجامعة المستنصرية.

References

Abu 'Ubayaidah, M. *Kitab al-Dibaj*. (n.d.). Electronic book, available online at https://shamela.ws/book/636/3.
Ali, J.. (1993). *Al-Mufassal fi Tarikh al-Arab Qabl al-Islam*. (2nd ed.). Baghdad: University of Baghdad.
Al-Alusi, M. (2009). *Bulugh al-Arab fi Ma'rifat Ahwal al-Arab*. (2nd ed.). Cairo: Dar al-Kitab al-Masri.
Al-Ansari, A. (1981). *Al-Nawadir fi al-Lughah*. (1st ed.). Egypt: Dar al-Shuruq.
Al-Harrani, A. (2003). *Al-Awwail*. (1st ed.). Beirut: Dar Ibn Hazm.
Al-Jahiz, A. (1999). *Al-Bukhala'*. (2nd ed.). Beirut: Dar wa Maktabat al-Hilal.
Al-Jahiz, A. (1998). *Al-Bayan wa al-Tabyin*. (7th ed.). Cairo: Maktabat al-Khanji.
Al-Jawhari, A. (1987). *Al-Sahah Taj al-Lughah wa Sahah al-Arabiyyah*. (4th ed.). Beirut: Dar al-Ilm lil-Malayin.
Al-Jubaili, S. (2009). *Al-Mu'jam al-Mufassal fi al-Ma'ani wa al-Insha'*. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.
Al-Maidani, A. (n.d.). *Majma' al-Amthal*. Beirut: Publications of Dar al-Nasr.
Al-Salim, Abd. (2011). Al-Amthal Mudkhal Lufahm al-Thaqafah al-Tanzimiyah. *Journal of Baghdad University*, Baghdad, 26.
Al-Shahri, A. (2004). *Istratijiyat al-Khitab Muqarabah Lughawiyyah*. (1st ed.). Beirut: Dar al-Kitab al-Jadid al-Mutajaddid.
Al-Sijistani, A. (1986). Kitab al-Furq. *Iraqi Scientific Council Journal*, 37, 226.
Al-Ta'i, H. (1981). *Diwan Hatim al-Ta'i*. Beirut: Dar Sader.
Al-Tha'labi, A. (1985). *Thamar al-Qulub fi al-Mudaf wa al-Mansub*. Cairo: Dar al-Ma'arif.
Al-Tha'labi, A. (1981). *Al-Tamthil wa al-Muhadarah*. (2nd ed.). Cairo: Al-Dar al-Arabiyyah lil-Kitab.
Azhari, M. (2001). *Tahdhib al-Lughah*. (1st ed.). Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi.
Asfahani, A. (1999). *Mahadhirat al-Adibaa' wa Muhawarat al-Shu'ara' wa al-Bulughaa*. (1st ed.). Beirut: Sharikat Dar al-Arqam.
Asma'i, A. (1951). *Kitab Ma Ikhtalafat Alfadhuhu Wa Attafaqat Ma'aniih*. Damascus: Al-Matba'ah al-Hashimiyah.
Barakat, H. (2000). *Al-Mujtama' al-Arabi fi al-Qarn al-'Ashrin*. (1st ed.). Tunis: Markaz Dirasat al-Wahdah al-Arabiyyah.
Boushieh, B. (2008). *Al-Ma'idah fi al-Shi'r al-Arabi al-Qadim. Unpublished doctoral dissertation*, University of Algiers, Algeria.
Dayf, Sh. (1960). *Tarikh al-Adab al-Arabi: Al-'Asr al-Jahili*. (2nd ed.). Cairo: Dar al-Ma'arif.
Fathi, M. (2001). *Mawsu'at al-Amthal al-Arabiyyah al-Fusha*. (1st ed.). Oman: Dar Osama lil-Nashr.
Ibn 'Abd Rabbih, Sh. (2019). *Al-'Uqd al-Farid*. (1st ed.). Lebanon: Dar al-Fikr.
Ibn Faris, A. (1979). *Mu'jam Muqayyis al-Lughah*. Damascus: Dar al-Fikr.
Ibn Hanbal, A. (2001). *Musnad al-Imam Ahmad bin Hanbal*. (1st ed.). Beirut: Al-Risalah Foundation.
Ibn Qutaybah, Abd. (1925). *'Uyun al-Akhbar*. Dar al-Kitab al-Masriyyah, Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi.
Isma'il, A. D. (2013). *Al-Adab wa Fununuhu*. (9th ed.). Cairo: Dar al-Fikr al-Arabi.
Kayyal, M. (1993). *Mu'jam Durar al-Kalam fi Amthal Ahl al-Sham*. (1st ed.). Beirut: Maktabat Lebanon Nashrun.
Najm, A. (2016). *Food Culture in a Local Community. Unpublished Master's Thesis*, Al-Mustansiriya University, Baghdad.
Nuhr, H. (1988). *'Ilm al-Lughah al-Ijtima'i 'Inda al-Arab*. (1st ed.). Baghdad: Al-Mustansiriya University.
Qatamish, A. (1988). *Al-Amthal al-Arabiyyah: Dirasah Tahliliyyah*. (1st ed.). Damascus: Dar al-Fikr.
Shukr, Sh. (1985). *Al-Hayawan fi al-Adab al-Arabi*. (1st ed.). Beirut: 'Alam al-Kitab.
Shurabb, M. (2007). *Sharh al-Shawahid al-Shu'riyyah fi Umat al-Kitab al-Nahwiyyah*. (1st ed.). Beirut: Al-Risalah Foundation.
Ibn Manzur, M. (1994). *Lisan al-Arab*. (3rd ed.). Beirut: Dar Sader.